



الدم

هل سبق لك ان التقيت احدهم يحمل بطاقة كتب عليها من الجهة الخلفية: "وثيقة طبية: لا دم؟" يحمل اعضاء شهود يهوه هذه البطاقات التي تمنع نقل الدم اليهم في حال المرض او الاصابة بحادث. اما الوجه الامامي للبطاقة فيحمل النص التالي: "توجيه / اعفاء طبي" انا، (فلان) اوصي بعدم نقل الدم اليّ حتى ولو اعتبر اطباء ذلك ضرورياً لصحتي او لحياتي. واقبل الموسّعات الخالية من الدم . عمري (كذا) سنة واجري هذه الوثيقة من تلقاء نفسي. وينسجم ذلك مع حقوقي كمريض ومعتقداتي كواحد من شهود يهوه. يأمر الكتاب المقدس: ان تمتنعوا عن... الدم" (اعمال ١٥: ٢٨، ٢٩). هذا هو موقفي الديني وقد كان كذلك طوال (كذا) سنة. فأصي بان لا ينقل اليّ الدم واقبل اي خطر اضافي قد يجلبه ذلك. واعفي اطباء والخبراء بعلم التحدير والمستشفيات ومستخدميها من المسؤولية عن اية نتائج غير مؤاتية يسببها رفضي، رغم عنايتهم الوافية. وفي حال فقدي الوعي افوض الى اي من الشاهدين ادناه ان يكون على يقين من تأييد قراري. (الامضاء).

لم يذكر تشارلز راسل، مؤسس جماعة يهوه شيئاً عن الدم ونقله. انما قام في العام ١٩٥٨ بعض اتباع شهود يهوه بحركة طرحت التساؤل حول "تسلّم الدم او عدم تسلّمه". تاركين لموضوع لحرية ضمير كل عضو في الجماعة. لكن اخذ الدم اصبح سبباً للطرد من حركة شهود يهوه عام ١٩٦١ على حسب ما جاء في مجلة "برج المراقبة" (الناطقة باسم شهود يهوه) بتاريخ ١٥/٧/١٩٦١، النشرة الايطالية.

يعتمد شهود يهوه على بعض الآيات الواردة في الكتاب المقدس والتي تحرم اكل الدم. "كل حي يدب يكون لكم مأكلاً وكبقول العشب اعطيكم الكل، ولكن لحمًا بدمه لا تأكلوا" (تكوين: ٩: ٣ - ٤)، "فريضة دهرية في اجيالكم في جميع مساكنكم من الطير ومن البهائم. كل نفس تأكل شيئاً من الدم تقطع تلك النفس من شعبها" (لاويين ٧: ٢٦-٢٧).

واضح من الآيات التي كتبت ان الشريعة تمنع اكل دم الحيوانات، وبخاصة دم الذبائح المقدّمة على مذبح الرب. واذا تساءلنا عن سبب منع اكل دم الحيوانات فجواب جماعة شهود يهوه من الكتاب: "كل انسان من بيت اسرائيل ومن الغرباء في وسطكم يأكل دماً اجعل وجهي

ضد النفس الآكلة الدم واقطعها من شعبيها. لأن نفس الجسد هي في الدم فأنا اعطيكم اياه على المذبح للتفكير عن نفوسكم" (لاويين ١٧: ١٠ - ١١)، "فاذبح من بقرك وغنمك التي اعطاك الرب كما اوصيتك وكل في ابوابك من كل ما اشتتهت نفسك. كما يؤكل الطيبي والاييل هكذا تأكله. النجس والطاهر يأكلانه سواءً. لكن احترز ان لا تأكل الدم لأن الدم هو النفس فلا تأكل النفس مع اللحم" (تثنية ١٢: ٢١ - ٢٣).

ملاحظة بسيطة في هذا المجال. يفهم من كلام شهود يهوه ان حياة الانسان او نفسه هي في دمه، وهذا امر غريب ليس له اصل كتابي او طبي. معنى كلامهم انه كلما جرح الانسان جرحا بسيطا وسال دمه على الارض سألت نفسه معه. هنا نود التذكير ان المسيحية تمنع منعاً قاطعاً اكل الدم، لكن موضوعنا هو نقل الدم للمريض انفاذاً لحياته. فهل هذا يعني ان عليهم الامتناع عن اجراء فحوصات الدم المخبرية اذ قد يتلف الدم مع النفايات؟ ليست هذه نتيجة منطقية لمقولتهم؟ لكن شهود يهوه يحاولون ان يظهروا ان لا فرق بين اكل الدم ونقله. يقولون: "ليس صحيحاً ان المريض عندما يكون غير قادر على تناول الطعام بضمه غالباً ما يوصي الطبيب بتغذيته نفس اسلوب نقل الدم؟ ويأمرنا الكتاب المقدس بالامتناع عن الدم (اعمال ١٥: ٢٠ - ٢٩). فماذا يعني ذلك؟ اذا امرمك الطبيب بالامتناع عن الكحول هل يعني ذلك حقا انه لا يجب عليكم ان تتناولوه بكم ولكنكم تستطيعون نقله مباشرة الى عروقكم؟ طبعا لا ، وكذلك فان الامتناع عن الدم يعني عدم ادخاله الى جسمكم مطلقاً" (كتاب يمكنكم ان تحيوا الى الابد في الفردوس على الارض، النسخة العربية، ص ٢١٦). انها نظرية تضحك الطب، وتبكي المهددين بالموت. طبعا ينصحنا الطبيب بالامتناع عن الكحول لان ذلك يؤدي الجسد، ولكن نقل الدم ينجي الكثيرين من الموت المحتم. كما ان الفرق شاسع بين الاكل والتغذية عن طريق العروق والشرايين بالنسبة للطب. هناك ادوية نشربها او نأخذها بواسطة الابر او عبر العروق وهناك ادوية تستعمل كتحاميل. فهل اصبحت التحميلة طعاماً؟ يا للأمر المضحك، في الاكل لذة وشهوة. اين اللذة في نقل الدم لمريض يحتضر؟

كان الهدف من منع اكل الدم في العهد القديم القضاء على مفاهيم الديانات الوثنية. فأكل دم الذبائح، وربما قتل الاولاد كان عادة عند الوثنيين كالكنعانيين الذين كانوا يقدمون الاطفال ذبائح للآلهة. وما طلب الله من البراهيم التضحية بابنه اسحق ثم استبدال اسحق بالنعجة سوى درس لابراهيم الذي اطاع الله لكن الله اراد افهامه ان الانسان مكرم في عيني الرب. فانت الوصية لتحرم اكل الدم في العهد القديم. في هذا الاطار ايضا يأتي تحريم العهد الجديد اكل كل ما ذبح للوثن وليس فقط الدم (١ كو ٨)، اذ المشكلة ليست في اللحم بحد ذاته بل بكونه ذبح للوثن.

السؤال الذي يطرح على شهود يهوه: اين الوثنية في نقل دم لمريض من اجل انقاذ حياته؟ يقول الرسول بولس "العلم ينفخ ولكن المحبة تبني" (١ كو ٨: ١) ونعتقد ان المحبة تقرض ان نعطي الدم لانسان نريد انقاذه من الموت وقد انقذت هذه الطريقة حياة الملايين من البشر حتى يومنا. ولو عاش المسيح في ايامنا هذه لكان سمح بالتأكد بنقل الدم للمحافظة على الحياة حين تتعرض للخطر، لأنه قال: "هل يحلّ في السبب فعل الخير او فعل الشر. تخليص نفس او قتل؟" (مر ٣: ٤). الم يخضع يسوع كل شيء للانسان ولخيرته؟ الشريعة التي اوصانا يسوع ان نعيش بحسبها هي شريعة المحبة: "ليس لاحد حب اعظم من هذا ان يضع احد نفسه لاجل احبائه" (يو ١٣: ١٥). بذل الدم من اجل الآخرين هو بذل النفس، فطوبى لكل من بذل نفسه ويساعد في انقاذ حياة. الم يبذل يسوع دمه على الصليب فداءً لاجلنا؟ الم يعطنا جسده ودمه طعاماً لنا للحياة الابدية. مثالنا هو يسوع: "بهذا قد عرفنا المحبة ان ذاك وضع نفسه لاجلنا فنحن ينبغي لنا ان نضع نفوسنا لاجل الاخوة" (١ يو ٣: ١٦). اذا كان كلام الرب لنا على لسان الرسول يوحنا ان نبذل نفوسنا اي ان نموت لاجل اخوتنا فهل ما يمنع بعد من اعطاء الدم للمريض والمصاب؟ "يا اولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق" (١ يو ٣: ١٨). عندما يكون الجنين في رحم امه فان الدم ينقل اليه عبر عملية نقل دم طبيعية بواسطة الحبل الذي يربط الام بجنينها. فهل يجب ان نمنع هذا ايضاً؟

ننهي كلامنا بحادثة حصلت منذ سنوات قليلة في احدى المستشفيات حيث كان طفل بحاجة لعملية جراحية تتطلب نقل دم اليه. رفضت العائلة بسبب معتقدها وهرعت الام الى مكتب الدخول لتوقع ورقة تمنع فيها الطبيب من اعطاء الدم لابنها متحملة مسؤولية الامر غير مدركة انها وقعت بذلك وثيقة وفاة رضيعها، لان الطفل الرضيع توفي في اليوم التالي بسبب "محبة" امه له. عندما نترك انساناً يموت بسبب نقص في الدم، نكون قد سرعنا موته وقد نكون قتلناه. اعطاء الدم هو علامة المحبة بالنسبة لنا.